

صعدة تشييع أطفالها : تمسك سعودي بالجريمة... و«تنقيير» إماراتي على «الأشقاء»

شييع مئات آلاف اليمنيين، أمس، جنامين الأطفال الذين قُضوا في مجزرة ضحيان، في وقت كانت فيه السعودية تجدد إصرارها على الجريمة، مُستغِلَّةً التقاعس الأممي والدولي عن فتح تحقيق مستقل

لم يكن متوقعاً للدعوة الأممية - الدولية إلى فتح تحقيق في المجزرة التي ارتكبتها «التحالف» الخميس الماضي في محافظة صعدة، أن تسلك سبيلها إلى التنفيذ، في ظل إجماع الجهات المعنية عن المبادرة أو حتى المطالبة بإرسال محققين مستقلين، يمكن أن يخرجوا بخلاف ما اعتادت «اللجنة الوطنية للتحقيق في ادعاءات انتهاكات حقوق الإنسان» المُموَّلة والمدارة سعودياً النطق به. إزاء ذلك، لم يجد أهالي الضحايا بداً من دفن أطفالهم القتلى الذين ارتفع عددهم إلى 41 عقب وفاة طفل متأثراً بجروحه، بعدما حاولت «أنصار ال» فسح المجال أمام احتمالية بدء تحقيق جاد هذه المرة. لكن الدعوة ظلت دعوة، مُشجَّعةً السعودية على مزيد من «الصلف» في تحميل الضحية مسؤولية مقتله، فيما وجدت الإمارات الفرصة سانحة لتلميع صورتها مقارنةً بـ«شقيقتها».

وشيّعت حشود غفيرة، أمس، في محافظة صعدة، جنامين الأطفال الذين قُضوا في غارة جوية استهدفت حافلة كانت تُقلِّهم من دورة صيفية في مدينة ضحيان. ورفع المُشيِّعون الذين قَدِموا من مختلف مديريات صعدة والعاصمة صنعاء ومحافظات أخرى شعارات تنوعت بالافتصاص للشهداء، وتؤكد أن مذبحة ضحيان لن تفت في عضد اليمنيين. وألقى رئيس «اللجنة الثورية العليا»، محمد علي الحوثي، في المحتشدين كلمة حمل فيها الولايات المتحدة المسؤولية عن المجزرة، قائلاً: إن «جريمة استهداف الأطفال في ضحيان هي جريمة أميركا وحلفائها في العدوان». شراكة تعزّزت مع الدعوة الباهتة المُوجَّهة إلى «التحالف» والحكومة الموالية للرياض للتحقيق في المجزرة، والتي رأت فيها المديرية المساعدة لمنظمة «هيومن رايتس ووتش»، أكشاي كومار، «فرصة للسعوديين لإجراء تحقيق

حول أنفسهم، ستكون نتيجته مثيرة للسخرية».

هذا التقدير ظهرت بوادره مبكراً مع الساعات الأولى التي أعقبت مذبحه ضحيان، حيث سارعت السعودية إلى توصيف ما جرى للأطفال على أنه «أضرار جانبية» نتجت من استهداف «المخططين والمشغلين لإطلاق الصواريخ». وهو ما عاد وكرّره، أول من أمس، المندوب السعودي الدائم لدى الأمم المتحدة، عبد الله المعلمي، في رسالة «عاجلة» إلى مجلس الأمن، جدّد فيها وصف مجزرة صعدة بأنها «عمل عسكري مشروع»، منتقداً ما سمّاه «تفاعس مجلس الأمن في مواجهة الانتهاكات الحوثية الصارخة لقراراته». وتعدّ رسالة المعلمي جزءاً من خطة الدفاع السعودية المضادّة، والتي تقوم على محاولة صرف الأنظار إلى ملعب «أنصار الله» من طريق اجترار الاتهامات المعروفة بحق الحركة، وإحالة «الحادثة» على «اللجنة الوطنية للتحقيق» التي لا شيء يدفع إلى «الثقة بتحقيق ستجريه»، بدءاً من ضعف «خبرة السعودية على هذا الصعيد»، مروراً بـ«افتقار المملكة إلى الشفافية»، وصولاً إلى «ممارساتها على صعيد حقوق الإنسان»، وفق ما يؤكّد خبراء دوليون.

في خضمّ ذلك، يظهر أن الإمارات تجد الطرف مناسباً لترميم صورتها على المستوى العالمي، وتعزيز ما تعتقد أنها «أحقيتها» بالوكالة الأميركية بوصفها الطرف «الأقدر» من «شقيقتها» السعودية على التعامل مع «المجتمع الدولي». في هذا الإطار، بدأ لافتاً تأخر التعليق الإماراتي على مجزرة ضحيان حتى يوم أمس، وظهوره بعد قرابة أربعة أيام من وقوع الجريمة على شكل اعتراف بفداحة ما حدث، لكن من بوابة التبرير. إذ قال وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية، أنور قرقاش، في مؤتمر صحافي في دبي، إن «هذه الحرب كانت ولا تزال حرباً بشعة»، مضيفاً: «للأسف، هذا جزء من أي مواجهة»، متابعاً بأن «الحرب لا يمكن أن تكون عملية نظيفة». وأشار قرقاش إلى «(أنني) أقبل انتقاد الائتلاف بسبب بعض الحالات الإنسانية مثل جميع الأطراف»، في لهجة مخفّفة - مقارنةً بالنبرة السعودية - تستهدف التشديد على ما تلحّ عليه الإمارات باستمرار من أنها «تفهم الرأس» الغربي، وتقدر على مخاطبته.

هذه الرسالة تجلّت، كذلك، في الجولة التي نظمتها القيادة العسكرية الإماراتية في اليمن للصحافة الأجنبية على مدينتي المكلا وعدن في جنوب البلاد. جولة أرادت من ورائها أبو طيبي نفي الاتهامات التي التصقت بها أخيراً، من إدارة سجون سرية، إلى إبرام اتفاقات مع تنظيم «القاعدة»، إلى تعطيل عمل المرافق الحيوية. وقال الضابط الإماراتي، مسلم الراشدي، في ختام الجولة، إن بلاده «ستواصل العمل حتى القضاء على تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كتهديد إقليمي وعالمي». لكن في الوقت الذي كانت تحاول فيه الإمارات تلميع إدارتها لتلك البقعة من اليمن، كان قائد الميليشيات السلفية التابعة لها هناك يفضح مجدداً ما قام به الإماراتيون من ممارسات عزّزت وجود المتشددين في تعز والجنوب.

إذ توعّد نائب رئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي لأبو طيبي، هاني بن بريك، مقاتلي حزب «الإصلاح» (إخوان مسلمون) في تعز بـ«كتاف جديدة» في إشارة إلى المعركة التي شهدتها مديرية كتاف في محافظة صعدة قبل سنوات بين السلفيين و«أنصار الله». وقال بن بريك إنه «إذا لم تتحرك رئاسة الشرعية لإيقاف العبث الحزبي في تعز، فستكون للأمر تبعات وخيمة، وسيتحرك كل السلفيين الذين خرجوا إلى دماج لنصرة إخوانهم في تعز». وجاءت تصريحات بن بريك تعليقا على ما تشهده مدينة تعز من مواجهات عنيفة بين «كتائب أبو العباس» السلفية الموالية للإمارات،

وتشكيلات تابعة لـ«الإصلاح»، أدت حتى الآن إلى تمكن الأخيرة من السيطرة على جزء لا يُستهان به من معاقل السلفيين، وحصر الأخيرين ومعهم بقية حلفاء أبو ظبي (ميليشيات التنظيم الناصري، والقوات المحسوبة على محافظ المحافظة) في مربع جغرافي لا يتعدى بضعة كيلومترات، وفق ما أفادت به بعض الأنباء أمس.